قضية الأحداث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فهذا بحث في قضية الأحداث في النصف الثاني من القرن العشرين وأحوالهم ، والإجراءات اللازمة لحمايتهم في المستقبل ، في القرن الحادي والعشرين[١] .

تكمن أهمية هذا البحث من جانبين :

الجانب الأول : ظروف النصف الثاني من القرن العشرين الذي مرَّ في شطره الأول بالحرب الباردة بين الغرب والشرق ، وانتهى بعد زوال تلك الحرب إلى ما سمي بالنظام العالمي الجديد ، وهيمنة أمريكا التي يتبعها الغرب الأوربي في الاتجاهات المصلحية الحيوية ، وأعقب ذلك ظهور الانقسامات والمصادمات الداخلية ، ووجود هزات عنيفة بزعامة قيادات الرفض والتحدي ، مما عقَّد الأوضاع ، وأدى لرد الفعل المعاكس والتوترات الاجتماعية ، وتعريض الأحداث لمشكلات كثيرة بسبب الاعتقال والسجن والتهجير التي تعرضت لها الأسر والعائلات ، وغياب رب الأسرة عن الساحة العائلية .

والجانب الثاني : أن محور قضية الأحداث في مواجهة قضايا

---

(١) قدم إلى الدورة الحادية عشرة لمؤسسة آل البيت في عمَّان عام ١٩٩٧م .

الأطفال ، أدى بالمقارنة والتأمل إلى أن طور الحداثة أخطر أطوار الإنسان ، باعتباره على حافة أو مفترق طرق الحياة ، إما حياة الاستقامة والاستقرار والاطمئنان ، وإما حياة الانحراف والشقاوة والاضطراب والقلق .

* * *

معنى الحداثة وأسباب رعاية الأحداث

الحداثة في اللغة : تعني الفتوة وحداثة السن ، وفي العرف : هي مرحلة الصغر منذ الولادة ، حتى النضج الاجتماعي والنفسي واكتمال عنصر الرشد والإدراك . وفي الاصطلاح القانوني : هي فترة التمييز والبلوغ والمراهقة وبداية الرشد . والحدث : كل ذكر أو أنثى لم يتم سن الثامنة عشرة في أغلب القوانين العربية والأجنبية ، أو لم يبلغ إحدى وعشرين سنة في بعض القوانين كالقانون المصري والأمريكي .

فسن الحدث يبدأ من سن السابعة ، وينتهي باستكمال الثامنة عشرة ، وهذا هو المراد في هذا البحث ، خلافاً لما يريده اللغويون من عموم وإطلاق ، ويذكره الفقهاء من تسمية ما قبل الخامسة عشرة باسم المراهقة .

والأحداث بداهة : هم عدة المستقبل ، وجيل الغد ، وبناة الحياة الوطنية والإنسانية ، لذا كانوا في أمسّ الحاجة إلى التربية والتوجيه ، والرعاية والتقويم ، ليصيروا أقوياء الأجساد والعقول ، أصحاء الأخلاق والسلوك ، وتتحصن شخصياتهم تحصناً متيناً من أي انحراف وانزلاق ، وتشرد وضياع ، فتضيع ثروة كبيرة ، يصعب تعويضها أو تدارك خسارتها .

ومن المعلوم أن بناء الجسد وحده للطفل ليس كما يظن بعض الوالدين كافياً ، وإنما لابد من البناء العَقَدي والديني والاجتماعي ، والأخلاقي

والعاطفي ، والنفسي ، والعلمي والفكري ، والجسمي ، والجنسي ، والصحي ، فإذا تكاملت عناصر البناء المادي والمعنوي هذه ، تحقق وجود البناء المتماسك الذي لا يتصدع على الدوام ، ويكون محمياً من الداخل ضد عاديات الزمان ، ومحاولات الشدّ والجذب .

وتقع المسؤولية الأولى في إيجاد مقومات هذا البناء وتحصيناته الثوابت على الأبوين والأسرة ، ثم المدرسة والمجتمع ، والدولة ، لأن التربية الناجحة والمؤثرة هي تربية الأبوين ، أما المدرسة أو المجتمع فلم يعودا محل الثقة والأمل في إيجاد النشء الصالح ، وأما الدولة في عصرنا فهي مَعْنية أولاً بالمشكلات الأمنية والسياسية والاقتصادية ، في الخارج والداخل ، بل إن كثرة الأحداث ، وتأمين مطالبهم فاقت التوقعات والإمكانات أحياناً ، ولم نجد في وسائل الإعلام المعاصرة ما يكفي لعلاج قضايا الأطفال والأحداث ، واقتصر دور منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) على الإسهام في علاج المجاعات الكثيرة الوقوع في بعض الدول الإفريقية والآسيوية ، بسبب الجدب أو الصراعات والحروب الداخلية .

* * *

المطلب الأول

مشكلات الأحداث المعاصرة

الولد الحدث أمانة كبرى عند الوالدين ، والمجتمع ، والدولة ، وحمل هذه الأمانة ثقيل ، والتفريط بالولد يوجب تحمل المسؤولية ، والمسؤولية ذات شقين : في الدنيا والآخرة ، قال النَّبي ﷺ : « كلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راعٍ في أهله ، وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ، وهي مسؤولة عن رعيتها ، والخادم راعٍ في مال سيده ، وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راعٍ في مال أبيه ، وهو مسؤول عن رعيته ، فكلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول عن رعيته »[١] .

هذه المسؤولية تقتضي الممارسة والمراقبة والوقاية من المشكلة قبل وقوعها ، لأن عواقبها وخيمة ، وتتطلب الحذر الشديد ، قبل فوات الأوان ، وقبل الوقوع في مرارة الندم من غير جدوى ، فما أشقى الأبوين والأسرة إذا تعرض الحدث للخسارة ، وما أظلم المجتمع الذي يفتقد الإحساس بالرحمة والمسؤولية ، ولا يهم بعض أفراده إلا تحقيق المصلحة الذاتية ، وما أضعف الدولة وأشدها تخلفاً وضياعاً وانهياراً إذا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد والشيخان (البخاري ومسلم) وأبو داود والترمذي عن ابن عمر .

لم تقم بواجباتها في إنقاذ مئات أو آلاف الأطفال من السقوط في زوايا الفساد ، والأذى ، والاستغلال الرخيص ، ولم تقدّم لهم ما يحميهم من إساءة الكبار إليهم ، وخيانة الخائنين لأبناء أمتهم وغراس مستقبلهم .

وأدى إهمال بعض الأحداث إلى مشكلات كثيرة ، سواء في الأرياف أو المدن ، أما في الأرياف فمنشأ المشكلة هو الجهل ، وسوء الأحوال المعيشية ، والانحرافات الدينية ، والأخلاقية .

وأما في المدن فللمشكلة منحى آخر : وهو تشرد الأحداث ، وإغراؤهم بالمال والترف لإشراكهم في تكتلات وصراعات مسلحة ، وتشغيلهم في ظروف عمالية سيئة المناخ والوسط ، بما فيها من شيوع المخدرات والمسكرات في صفوفهم ، والإساءةِ إليهم جسدياً في الحاضر والمستقبل ، وإغرائهم بتعاطي بعض الفواحش والرذائل الخلقية ، مع ضعف رقابة الدولة ، وفقر الخدمات التي تقدمها ، وإهمال التعليم ، واستعجال المكاسب المادية ، وفقدان وسائل الترفيه الحر الشريف ، وانعدام معسكرات اللهو الموجه الهادف ، وقلة المراكز الاجتماعية الثقافية ، والرياضية ، وانتشار أفلام الجنس والصور العارية ، وعرض الأفلام المثيرة والمحطمة لكيان الحدث في آن واحد ، فلا يجد الأحداث أمامهم سوى الوسائل الشاذة .

* * *

أسباب انحراف الأحداث
في النصف الثاني من القرن العشرين

هناك أسباب أو عوامل أساسية خمسة وراء انحراف الأحداث في عصرنا الحاضر[١] :

أولاً ـ العوامل الاجتماعية :

إن البيئة الاجتماعية المنحرفة كثيراً ما تكون سبباً مؤثراً واضحاً في سلوك الأولاد ، حيث يتأثرون في أثناء اللعب وقضاء أوقات الفراغ والتسلية برفاق السوء من أبناء الحارة أو الجيران ، سواء من سن متماثلة ، أو باستغلال بعض الكبار براءة الولد وسذاجته ، وإما بالإغراء وإظهار العطف وحب المساعدة لتحصيل بعض المتع الذاتية كالمال والطعام ، وإما بوسائل الإكراه المادي والأدبي ، وقد دلت الإحصاءات أن جنوح الأحداث بسبب رفاق السوء بلغت ١٠٪ من مجموع الجانحين .

لذا حذر النَّبي ﷺ من صحبة الأشرار ، وجلساء السوء ، ورفاق الفساد، فقال: « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل »[٢] ،

---

(١) الرعاية الاجتماعية للأحداث والجانحين للعقيد أحمد محمد كريّز : ص ١٧٢ـ٢٤٦ .

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه عن أبي بن كعب ، وفي رواية ابن عساكر : =

ثم وصف النَّبي ﷺ مدى تأثير الصحبة ، فقال : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء ، كمثل صاحب المسك ، وكِيرِ الحداد ، لا يَعدِمك من صاحب المسك إما أن تشتريه أو تجد ريحه ، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك ، أو تجد منه ريحاً خبيثة »[١] . ثم نهى النَّبي ﷺ عن صاحب السوء ، فقال : « لا تصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقي »[٢] .

كل هذا يدل على أن للبيئة الفاسدة والصحبة الفاجرة أثرها الأكبر في الإغواء والإفساد[٣] .

ثانياً ـ العوامل الأسرية :

هذه ذات تأثير مباشر ومصاحب ودائم ، فالولد ابن أسرته حسناً وقبحاً ، استقامة وانحرافاً ، وتتعدد مظاهر تأثير الأسرة ، إما في سوء التربية والتوجيه المنزلي ، وإما في الانحلال أو الانحراف الخلقي ، وانحراف أحد الوالدين أو كليهما مما يؤثر على الأولاد ذكوراً وإناثاً ، وإما في تفكك الأسرة لقسوة الأب ، أو لفقد أحد الأبوين أو كليهما ، أو لإيقاع الطلاق أو تعدد الزوجات غير المدروس ، أو الهجر أو نحوه ، أو لسوء معاملة الأبوين للولد من تحقير وازدراء ، أو تشهير وسخرية ، مما قد يؤدي إلى الانتحار أو ترك البيت نهائياً والالتفاف حول عصابة سيئة ، أو تشرد وضياع ، أو الشجار مع الأبوين ونحوه[٤] .

وقد بلغت نسبة المنحرفين بسبب تفكك الأسرة ٢٩٪ .

= « إياك وقرين السوء فإنك به تُعرَف » .

(١) أخرجه أبو البخاري عن أبي موسى .

(٢) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد الخدري .

(٣) تربية الأولاد في الإسلام ، للأستاذ عبد الله علوان ١/ ٥٣٤ـ٥٣٥ .

(٤) تربية الأولاد في الإسلام للأستاذ عبد الله علوان ١/ ١١٢ـ١١٥ ، ١٢٦ ، ٣٣٥ .

ثالثاً ـ العوامل الثقافية والإعلامية :

اتخذت الثقافة والتربية والإعلام منحى بعيداً إلى حد ما عن إعداد النشء أو الأحداث والجيل إعداداً صالحاً ينسجم مع متطلبات الدين والأخلاق . وعنيت هذه الجوانب بمؤسساتها المختلفة بالنواحي الوطنية والأمنية ، مما جعل أطفالنا ، إما في متاهة ، وإما في ضياع ، وإما في تعقيدات نفسية غريبة .

وأهملت المقومات الدينية والخلقية والعبادية التهذيبية ، وقد دلت الإحصاءات الأمريكية والأوربية على ندرة الإقبال على دور العبادة بين الأحداث والشباب ، مما يؤكد أهمية التربية الدينية والتثقيف الديني في بناء الفرد والمجتمع ، بدءاً من مرحلة الصغر التي يمكن صقلها وغرس بذور الخير في أبنائها وهم في لين وطراوة ، وقابلية سريعة للإصلاح ، والتحذير من الانحراف . ولم تعد المدارس بيئة تربوية سليمة الاتجاهات ، فقد تسوء العلاقة بين الحدث وبعض المربين أو الزملاء ، وقد يحسّ الولد بضعفه في التحصيل ، فيدفعه إلى الهرب من المدرسة أو سلوك جادة الانحراف .

وقد تسهم بعض وسائل الإعلام من الصحف والمجلات والكتب وبخاصة الأجنبية منها ، ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة والأشرطة المعروضة ، والسينما والمسرح ، تسهم كلها في تعليم أساليب الإجرام ، أو المغامرات ، أو الإغراق في الخيالات والأساطير ، أو ترويج الأفكار التي تمس الدين والأخلاق والقيم النبيلة . ودلت الإحصاءات بين عامي ١٩٦٥ـ١٩٧٦ م أن نسبة ٣٦,٧٪ من الأحداث الجانحين يقضون أوقات فراغهم في دور السينما .

ومما زاد الطين بلّة كثرة وسائل البث التلفازي والمحطات المعتمدة على الأقمار الصناعية ، والتي تعرض الأفلام المخلة بالأخلاق والشرف والكرامة الإنسانية ، حتى إن الأفلام الأمريكية والأوربية غزت المنطقة العربية والإسلامية ، وبخاصة في دول الخليج العربي ، وأصبحت خطراً على الأولاد والشباب .

وأما برامج الصغار وبعض برامج الكبار ، فإنها تبث روح التربية الغربية ، وتروج التقاليد الأجنبية ، وترغب بالحفلات والأندية الغربية ، وهي تدعو إما إلى العنف والصراع ، أو إلى العقائد الوثنية ، أو إلى تمييع الأخلاق والانخراط في مسلسلات الاختلاط غير البريء ، أو الحب والغرام المدمر .

رابعاً ـ العوامل الاقتصادية :

العامل الاقتصادي وبخاصة في البلدان النامية ، ومنها العربية والإسلامية من أهم عوامل انحراف الأحداث في الأرياف والمدن ، ولجوئهم إلى البحث عن الموارد المالية غير الشريفة ، أو الخطيرة ، حيث تستغلهم الجماعات أو العصابات الإرهابية ليقوموا بالفتن الداخلية العمياء ، وأداء أدوار مثيرة للعجب في الصراعات المسلحة مع الدول أو غيرها ، وإذا انزلق الحدث في متاهات العصيان أو الإرهاب ، فقد كل المقومات الكريمة ، واستغله الآخرون استغلالاً رخيصاً أو مهيناً ، مما يوجب على الدولة التدخل لحماية هؤلاء الأحداث المغرَّر بهم ، وإنقاذهم من ورطة الأعمال التي يمارسونها دون أن يدركوا أبعادها أومخاطرها ، ثم تقوم بتوظيفهم أو تشغيلهم بما يحفظ لهم كرامتهم بعيش كريم .

ومظاهر العوامل الاقتصادية كثيرة :

أ ـ الفقر والحرمان وسوء التغذية : من المعلوم أن الحدث الذي لا يجد في البيت ما يكفيه من غذاء وكساء ودواء ، ويعتصره الألم والحرمان والجهد ، سيلجأ حتماً إلى ترك المنزل بحثاً عن أسباب العيش ، فتتلقفه أيدي السوء والإجرام ، وتحيط به هالة الشر والانحراف ، فينشأ في المجتمع مجرماً ، ويكون خطراً على الأنفس والأموال والأعراض ، أو يصبح على الأقل ضعيف الشخصية ضعفاً تنمو معه الاتجاهات المنحرفة ، وقد بلغت نسبة المنحرفين في بعض عواصم الدول العربية بسبب الفقر والحرمان ٧٢,٧٪ بالنسبة لباقي عوامل الانحراف ، وهذه النسبة في ازدياد مستمر ، وتتراوح الزيادة بنسبة ١١,٣٪ في الخمسينيات من القرن العشرين ، وصارت بنسبة ٢٩,١٪ في الستينيات .

ب ـ اليتم وسوء الأحوال السكنية : يقترن اليتم أحياناً بالفقر ، ويعد عاملاً خطيراً في انحراف الولد النفسي ، وبخاصة إذا كان اليتيم في بيئة لا ترعاه ، ولا تنظر إليه بعين العطف والرحمة والمحبة ، وفي وسط يتبرم منه ، فيتقاذفه الأقارب يمنة ويسرة .

وأثبتت الدراسات أن حالات انحراف الأحداث تزداد في الأحياء الفقيرة والمحرومة ، والمساكن المزدحمة أو غير الصحية ، التي يعاني سكانها من نقص الرعاية الصحية ، والبيئة المناخية المناسبة ، وسوء الأحوال السكنية الذي يعبر عن سوء الأحوال الاقتصادية ، ونقص إشباع حاجات الأحداث من غذاء ، وشراب ، وصحة ، ونوم ، وتعب . . . إلخ ، فيضطرون إلى الهرب إلى الشوارع والانحراف ، وأكدت الإحصائيات تزايد عدد الأحداث المنحرفين في الأحياء الفقيرة ، أكثر من الأحياء الغنية أو المرفهة .

وهذا واضح في بيئات مخيمات اللاجئين والمهجرين أو النازحين . ومع هذا قد يكون البطر والترف سبباً في الانحراف ، وبخاصة الانحراف الجنسي ، وتعاطي المخدرات والمسكرات ، وانتهاك حرمة المساكن ، كما هو ظاهر في بعض البلدان العربية والخليجية .

جـ ـ سوء ظروف العمل والبطالة : قد ينحرف الأحداث إذا عملوا في مهن أو حرف لا تتفق مع قدراتهم الجسمية ، أو مع الكبار الذين يتسببون في إفسادهم ، أو في ساعات العمل الليلي ، لذا أصدرت منظمة العمل الدولية الاتفاقية رقم (٧٩) لمنع العمل الليلي للأحداث ، لأن طبيعة هذا العمل وطول ساعاته يؤدي إلى إتعاب الأحداث وإلى انزلاقهم تدريجاً ، وتورطهم في بؤر الانحراف ومستنقعاته .

وكذلك البطالة ، وفقدان وسائل شغل وقت الأحداث ، وصعوبات الأحوال المعيشية في بعض البلاد ، ولاسيما الإفريقية والآسيوية ، تؤدي بالأحداث إلى اللجوء إلى دور اللهو والسينما وأوكار المهربين ، ومدمني المخدرات ، وبيئات المنحرفين ، ولا يجدون الخدمات التي توفرها الدولة كافية ، كالمراكز الثقافية والرياضية والصحية والرعاية الاجتماعية .

د ـ الحركة الصناعية : يكثر الانحراف عادة بين الأحداث الذين هجروا قراهم ، وأتوا إلى المدن ، وأماكن المصانع والمعامل ، بحثاً عن الرزق ، في معظم الدول العربية والإسلامية . وقد دلت الدراسات الاجتماعية أن نسبة كبيرة من مرتكبي الجرائم في المدن هم في الأصل من الريف ، قدِموا للعمل في المدن ، فلم تتوافر لهم أسباب العيش الكريم ، وكانت نسبة المنحرفين في الأحياء المجاورة للمصانع والمعامل كبيرةً ، ففي حيّ عادي تكون النسبة ١٠٪ ، بينما في الأحياء القريبة من المعامل تبلغ ٢٥٪ .

خامساً ـ العوامل السياسية والعسكرية :

ظهرت في الآونة الأخيرة في النصف الثاني من القرن العشرين هزات سياسية وعسكرية عنيفة ، أدت إلى الاعتقال ، والسجن الطويل الأمد ، والتشريد ، والتهجير ، فتمزقت الأسرة وتشتتَ أفرادها ، وربما عاشت الأسرة الواحدة في ثلاث أو أربع دول ، مما أدى إلى صعوبة معيشة الأحداث في هذا الجو من التمزق والخوف والقلق .

وقامت بعض التنظيمات العسكرية أو الحزبية بتجنيد الشباب قبل البلوغ والرشد ، وهذا ممنوع في الشريعة والقوانين ، ففي الشريعة لا يسمح للصغير أو الحدث قبل البلوغ بالجهاد لضعف الجسم ، قال ابن عمر : « عُرضت على رسول الله ﷺ يوم أُحد ، وأنا ابن أربع عشرة سنة ، فلم يجزني في المقاتلة ، وعُرضت يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني »[1] .

وكثرت حوادث قتل الصغار والكبار في الحروب الداخلية ، بسبب العنصرية أو القومية أو الاضطهادات الدينية أو الدفاع عن حرمة الوطن وتقرير حق المصير ، مثل أحداث ومجازر البوسنة والهرسك والشيشان ولبنان وفلسطين ، حيث قتل الأحداث ، والصغار ، وشرّد كثير منهم ، وتلقفتهم المراكز والمؤسسات الصهيونية أو الصليبية ، ونقلوا إلى بعض البلاد الأوربية والأمريكية ، ومنعوا من التجمع في أماكن واحدة ، مع عِلْم الأمم المتحدة بذلك ، وتبين أن القصد من أخذ الأحداث من بلاد الإسلام إنما هو من أجل تنصيرهم ، وقطع صلتهم بأمتهم .

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم ، وفي رواية ابن حبان وابن خزيمة بزيادة : « فلم يجزني ولم يرني بلغت » .

وأدت هذه العوامل إلى تفشي الظواهر المتتابعة في الأحداث والمراهقين : وهي ظاهرة التدخين ، والعادة السرية ، وتناول المسكرات والمخدرات ، والزنىٰ واللواط ، وما يعقبها من أضرار خطيرة صحية ونفسية واجتماعية ومالية[١] .

* * *

(١) تربية الأولاد في الإسلام للأستاذ عبد الله علوان ١/ ٢١٤ وما بعدها .

المطلب الثاني

حماية الأحداث في القرن الحادي والعشرين من منظور إسلامي

تتطلب حماية الأحداث في المستقبل القريب من زاوية الفكر والعمل الإسلامي المبرمج اتخاذ أسلوبين ضروريين : الأول علاجي ، والآخر وقائي .

أما أسلوب العلاج : فيكون بقيام لجان اجتماعية متخصصة ومتعددة بدراسة أحوال الأحداث في كل بلد إسلامي أو عربي ، على حدة ، والمبادرة بتقديم التقارير الوافية المؤيدة بالإحصاءات والدراسات والتحليلات والاقتراحات العملية الناجعة ، لتفادي كل المشكلات ، والوقوف في وجه التحديات الخارجية والداخلية ، ومعاملة الأحداث معاملة رحيمة وخيِّرة وهادئة ، واستئصال كل أو معظم أسباب الجنوح والانحراف ، والحد من تأثيراته ، بأقصى قدر ممكن ، لأن الأمراض الفتاكة يجب التخلص منها ببذل أقصى الطاقات لحماية بقية الأحداث من الإصابة بأدواء المنحرفين ، وتجنب أخطار إصاباتهم .

ولابد من اتخاذ قرارات حاسمة في هذا الشأن ، على مستوى اللجان الوزارية التابعة مباشرة لرئاسة الوزراء ، واتخاذ ما يلزم ، وإعداد ما يفيد على المدى القريب والبعيد .

ويمكن بكل اعتزاز وثقة الاستفادة من التجارب الإسلامية في مراحل التاريخ ، لحل المشكلات وتجاوز الأزمات ، ومن أهمها كيفية علاج النَّبي ﷺ لأمراض المجتمع الجاهلي ، واجتذاب الشباب بالحكمة والإقناع والموعظة الحسنة ، للتخلي عن العقائد الموروثة ، والأخلاق المرذولة ، والعادات العربية الجاهلية الضارة ، ثم الاعتماد على سياسة تطويق الفتنة ، وتجاوز آثار الحروب والمعارك الطاحنة ، والانقسامات الداخلية ، ومواجهة تيارات التحدي الخارجي والداخلي ، والاعتماد على الثقة بالنفس أو الذات ، ومحاربة كل ألوان الفساد والمنكرات ، والبعد عن كل ثقافة غربية أو شرقية ، أو عادات وتقاليد ومباذل اصطلح عليها ، غير أنها غريبة عن التوجهات الشرعية ، فإن مبنى الشريعة على التزام الحلال المباح ، وأداء الواجبات والفرائض ، ومقاومة ألوان الحرام أو المحظور في شرعة الله في قرآنه ووحيه .

وأساليب حماية الأحداث في المستقبل ما يأتي :

١ـ إحياء نظام الوقف الخيري والتشجيع عليه ، فإنه بوجود المؤسسات الوقفية يمكن تطويق كثير من حالات انحراف الأحداث وجنوحهم ، بتشغيلهم في مراكز حرفية وقفية ، وإيجاد مراكز ثقافية كثيرة ومتنوعة في مستوى الأحداث ، والإكثار من الأندية الرياضية المجانية ذات المخطط الهادف والشاغل والمفيد ، وفتح دور الرعاية الصحية والاجتماعية في أحياء المدن وفي الأرياف لبحث حالات المشردين والجانحين وعلاج أوضاعهم ، ومتابعة أحوالهم حتى يتأهلوا لممارسة منهاج الحياة القويمة ، وضمان المستوى المعيشي اللائق لهم .

٢ـ محاربة الفقر وحل مشكلة الفقراء : فإن الإسلام قرر بتشريعه العادل أسس الحياة الكريمة لكل إنسان ، ووفر لكل فرد صغير أو كبير أو

عاجز أو مسنّ الحد الأدنى من مسكن ومطعم وكساء ، ورسم للمجتمع المسلم المناهج العملية للقضاء على الفقر نهائياً ، كتأمين سبل العمل ، وإجراء مرتبات شهرية من بيت المال لكل عاجز ، ومنح تعويض عائلي لكل رب أسرة ، إلى أن تزول أسباب الجريمة والتشرد والضياع ، ويقضى على كل مظاهر الفقر والبؤس والحرمان .

وذلك بطريق تنظيم جباية الزكاة أو جمعها ، وصرفها أو توزيعها على المستحقين الفعليين بإشراف الحكومات أو الجمعيات الموثوقة ، والترغيب في الصدقات ، وإيجاد المبرّات ومؤسسات الرعاية الاجتماعية كرعاية المسنين والعجزة والذي لا عائل لهم .

٣ـ العناية بأوضاع الأسرة ودراسة أسباب تفككها وتشرد الأحداث ، ومدّ يد العون لهم من أغنياء المسلمين وجمعيات البر والإحسان ، وفرض الأعطيات والمنح الدورية الدائمة لأولاد العمال والموظفين متوسطي الدخل ، والعاطلين عن العمل ، إلى أن يتوافر لهم الدخل الشهري المعقول ، وكذلك الأيتام الذين فقدوا عائلهم إلى أن يتربّوا ويكبروا ، وقد نص علماؤنا على فرض الأرزاق والأعطيات ، وبخاصة لطلاب العلم ، وعلى أنه إذا مات صاحب العطاء ، لم يسقط الحق فيه ، بل يصرف ويُعطى لأولاده من بعده[١] .

٤ـ إيجاد مراكز الرعاية الاجتماعية لدراسة أحوال الأحداث وإحصاء كل ما يطرأ على أوضاع الأسر المنكوبة ، ورفدهم بمخصصات دائمة من ريع الأوقاف والتبرعات ، ومتابعة تحصيل الأولاد العلوم الضرورية ، ومحو الأمية والجهل ، وتيسير سبل الحياة الكريمة للمحتاجين

---

(١) حاشية ابن عابدين ، باب المستأمن ، مطلب في مصارف بيت المال ٣/ ٢٨٠ـ٢٨١ .

والبؤساء ، وعلاج المرضى في المراكز الصحية ، ورعاية الدولة اللقطاء ، والقيام بأمورهم ، وكفالة مواردهم ، كما فعل أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه حين جاءه رجل بلقيط ، فقال له : « نفقته علينا وهو حر » .

٥ـ تنفيذ ما قرره الإسلام من تحقيق التكافل الاجتماعي بين الأغنياء والفقراء ، بأسلوب عملي ، عن طريق إيجاد صناديق تحمل هذا الاسم ، وإشراف لجنة متابعة لها ، تجبي أموال الصدقات ، ويتمّ تنظيم صرفها للأسر المحتاجة ورعاية الأحداث فيها .

كما لابد من تخصيص رواتب دائمة من الدولة لكل فئات المجتمع المختلفة ، والتركيز على بحث ومتابعة أحوال الأحداث في تربيتهم وتعليمهم وتشغيلهم ، حتى نطمئن إلى صيرورة كل حدث في وضع مادي وإنساني ومعنوي مقبول .

٦ـ التزام وسائل الإعلام ووسائل الاتصال باحترام كل فضيلة وأدب وخلق يدعو إليه الإسلام ، ومنع نشر كل ما يتصادم مع مبادئ الإسلام وأحكامه وشرائعه وعقائده وسلوكياته ، وسد كل منافذ الغزو الفكري الصهيوني والأجنبي المؤثرة في عقول الكبار والصغار ، كالأجهزة اللاقطة ، والأنظمة الحديثة ، وكل ما تبثه أجهزة التلفاز من مسلسلات وأفلام تمس الخلق والدين ، من طريق ما يسمى بتشفير محطات الإرسال ، وضابط الرقابة ليس بحسب أذواق الإعلاميين غير الملتزمين ، وإنما بحسب ضوابط أهل الحكمة والعلم والفضيلة من الشرعيين المتفتحة أذهانهم ، الذين لا يضيقون بكل معروض ، ولا يقرّون كل آتٍ من الغرب أو من بعض البلاد العربية ، أو الدول المجاورة ، والوسيطة في المنطقة العربية .

وهذا يستتبع أيضاً الوقوف بحزم أمام حملات التبشير والمخططات الصهيونية ، سواء في البلاد الإسلامية والعربية والإفريقية .

وفي الجملة : إن مشكلة الأحداث في عصرنا وفي القرن القادم كغيرها من مشكلات التخلف في بلدان العالم النامي ، لابد فيها من التخطيط والحزم ، وتبيُّن طرق الرشد والهداية ، والعودة إلى شرع الله ودينه ، وتجنب كل أسباب الغي والضلال ، والتزام خطة الوعي واليقظة والثقة بالنفس ، والاعتماد على الذات ، والتخلي عن الارتماء في أحضان الغير ، وترك أسلوب الإحالة فيما نعانيه من عيوب إلى الآخرين ، فإن العيب فينا في الدرجة الأولى ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، وقد صلح أولها بالإسلام جهاداً وتضحية وعطاء وتماسكاً ، وتكافلاً ، ورعاية ، وسخاء ، وتمسكاً بفرائض الدين المالية والاجتماعية .

* * *

ملخص البحث

لابد من التفكير الجدي والعملي في قضايا الأحداث وحل مشكلاتهم سواء فيما يعانونه الآن ، وما أفرزته سنوات النصف الثاني من القرن العشرين من تعقيدات ، أم فيما ينتظرهم من مضاعفة المشكلات في بحر القرن الحادي والعشرين .

وذلك لأن الأحداث في مرحلة التمييز والبلوغ والرشد يمرون بأخطر مراحل الحياة ، لأنهم يكونون على حافة أو مفترق الطرق ، فهم إما أن يكونوا في أمان واستقامة واطمئنان ، وإما أن يعيشوا في مخاوف وقلاقل ، وانحراف واضطراب ، فيصبحوا عالة على المجتمع ، بل وخطراً على كل المستويات ، بدءاً من الأسرة ، ثم البيئة الاجتماعية ، ثم الأمة والدولة .

ويحتاج الأحداث في طور الحداثة إلى بناء شخصياتهم بناء متكاملاً من النواحي المادية والمعنوية ، يعتمد على تقويم الاعتقاد وسلامة الدين والخلق ، والنفس والعاطفة ، والنضج العقلي والفكري والعلمي ، وقوة الجسم والصحة ، وانسجام التصورات واعتدال النظرة ، والقدرة على التغلب على المشكلات أو الأزمات الطارئة .

ويبدأ التصحيح من نطاق الأسرة ، ويكتمل في المدرسة والوسط المعيشي في المزرعة والمعمل والمتجر ، وينتهي في أحضان الدولة التي لا تألو جهداً في التخطيط ورسم السياسات الاجتماعية ، والرقابة

والحزم ، والرعاية والعطاء ، والتأديب والعلاج ، ولا يكفي ما تقوم به منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) من الإسهام في إنقاذ الأطفال والأحداث من خطر الموت جوعاً وعرياً ومرضاً ، بسبب الكوارث والحروب الداخلية ، وإنما لابد من اتخاذ المواقف الإيجابية لبناء شخصية الحدث على النحو المذكور آنفاً ديناً وخلقاً وسلوكاً ، ووقاية الأحداث قبل الوقوع في الأزمات ، ورعاية أحوال المنحرفين والجانحين والمتخلفين في الأرياف ، والمدن ، والمخيمات ، والمعسكرات ، والشوارع ، لمكافحة كل ما يؤثر في كرامة الأحداث أو يؤدي إلى استغلالهم ومهانتهم وسوء تشغيلهم والإساءة إليهم بألوان الإساءات المعروفة ، ومضايقتهم حتى يضطروا إلى هجر الوطن والمنزل ، أو التشرد ، والبحث عن موارد الكسب ، فتتصيدهم الأيدي الآثمة ، ويقعون في حبائل وشراك أوكار عصابات الانحراف والمخدرات والمسكرات ، والسرقات ، والاعتداء على الأعراض والكرامات .

إن المسؤولية الكبرى في رعاية الأحداث تشمل كل ذي موقع له دور فيها ، سواء الآباء والأمهات ، والمعلمون والموجهون ، وأصحاب الثروة ، وذوو السلطة والحكم والنفوذ من رجالات الدولة ، انطلاقاً من صراحة الحديث النبوي المتقدم تخريجه : « كلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول عن رعيته . . » .

وأسباب الانحراف لدى الأحداث كثيرة أهمها : العوامل الاجتماعية من انحراف البيئة ورفاق السوء ، وشذوذ بعض الكبار ، وسوء استغلال أوقات الفراغ ، والعوامل الأسرية من تفكك ، وتهدم بالطلاق ، أو تعدد الزوجات غير الملتزم بضوابط الشريعة ، وسوء التربية ، والانحلال الخلقي ، وقسوة الأب وعنايته بأهوائه فقط ، وفقدِ الوالدين أو أحدهما ، وغيبة الوالد عن أسرته مدة طويلة أو اغترابه ، وهجر الزوجة ، وإهمال

تعليم الأولاد ، والعوامل الثقافية والإعلامية التي تعنى في الغالب بالعلوم النظرية والتطبيقية والاجتماعية ، والقضايا السياسية والمشكلات الوطنية أكثر بكثير من عنايتها بإرشاد الدين ، وتوجيهات الفضيلة والأخلاق ، وتهمل إيجاد الرقيب الداخلي في الحدث وغيره للإقبال على ما يهذب النفس من عقيدة وعبادة ، وترك كل ما يضر بالنفس والمجتمع والدولة ، فنشأ جيل متفلت من القيم في الغالب ، وعنيت وسائل الإعلام بالأخبار والقضايا الماسّة بالمعيشة ومستقبل الأمة نظرياً ، وأهملت كل مقومات الدين والأخلاق والعبادة والتهذيب .

ومن أهم أسباب انحراف الأحداث : العوامل الاقتصادية من فقر وبؤس وحرمان ، وسوء الأحوال السكنية ، وظروف العمل ، وانتشار البطالة ، ومجاورة المصانع والمعامل حرصاً على الكسب والرزق ، وبَتْر الصلة بالموطن والأسرة والمجتمع ودروسه وثقافته ، والغربة عن الدين والموجهين والمعلمين الأمناء الغيورين . وقد بلغت نسبة المنحرفين في بعض عواصم الدول العربية بسبب الفقر والحرمان ٧٢,٧٪ بالنسبة لباقي عوامل الانحراف الأخرى .

ومن العوامل الجانبية : سوء السياسة والتخطيط ، والمعسكرات القيادية والحزبية والفئوية التي تستغل الصغار لتشغيلهم في الصراعات والمجالات المسلحة الضارة وغير النافعة ، والتي ربما تمتد بجذور تكوينها وإمداداتها لقوى خارجية ، وخدمة مآرب استعمارية وصهيونية .

وقد أدت هذه العوامل مجتمعة أو منفردة إلى تفشي ظواهر التدخين ، والعادة السرية ، وتعاطي المخدرات والمسكرات ، والانحراف الجنسي ، والعلاقات غير المشروعة بسبب الترويج لعادات الغرب وتقاليدهم .

وأمام هذه الظواهر ، ومن أجل تفادي مشكلات تمس الأحداث وغيرهم في المستقبل ، ولاسيما في مطلع القرن الحادي والعشرين ، لابد من اتخاذ أسلوب العلاج للواقع المرّ المؤلم ، والوقاية من أخطار المستقبل التي ربما تتفاقم آثارها ، ويتولد عنها تعقيدات كثيرة ، وعلينا أن نبادر للقيام بدراسات وإحصاءات عملية ، ونقف بحزم أمام التحديات الخارجية والداخلية ، ونعامل الأحداث معاملة برّة رحيمة مستمدة من تعاليم الإسلام السمحة ، وتوجيهاته الرشيدة في بناء العقيدة ، والتحصن بحصن التربية الفاضلة ، وتجنيب الأحداث كل أسباب وعوامل الانحراف ، والعمل على محاربة الفقر ، وحل مشكلة الفقراء بالزكوات والمبرات وغيرها ، وإحياء نظام الوقف الخيري الدائم الغلة أو المورد ، لصرفها في تحسين الأوضاع المعيشية والتنموية والتثقيفية والتربوية والصحية والاجتماعية ، والعناية بأوضاع الأسرة وحزم أبنائها ، وإنهاء البطالة أو تقليلها ، وإيجاد المراكز الاجتماعية في كل مكان في الريف والمدينة ، وتنفيذ برامج الإسلام ، في تحقيق أصول التكافل الاجتماعي .

* * *